

## السعودية رقم صعب وقاطرة سياسية في المنطقة زيارة بايدن في إطار استراتيجيا شرق أوسطية جديدة

زار الرئيس الاميركي جو بايدن اسرائيل والسعودية في سياق اجندة مهمة مع المملكة العربية السعودية واسرائيل ودول اخرى في الشرق الاوسط. هذه الزيارة ساعدت في اصال رسالة الى اسرائيل والشرق الاوسط مفادها ان الولايات المتحدة لا تنوي مغادرة المنطقة، وانها ملتزمة حماية حلفائها، اسرائيل والدول العربية المعتدلة، سواء وقعت الولايات المتحدة والغرب اتفاقية نووية جديدة مع ايران ام لا؟

هذه الزيارة وهي الاولى للرئيس الاميركي جو بايدن للمنطقة تؤسس لصفحة جديدة بين الادارة الاميركية ودول المنطقة، سينعكس نطاقها على الصعيدين الدفاعي والاقتصادي. من اهم اهدافها: تعميق العلاقات الخاصة والشراكة الاستراتيجية بين البلدين، فضلا عن التزام الولايات المتحدة امن واستقرار اسرائيل والمنطقة، اضافة الى تعزيز اندماج اسرائيل في الشرق الاوسط وازدهار المنطقة كلها، الى جانب تفاهات في شأن توطيد التعاون الامني والمديني بين الولايات المتحدة واسرائيل على نحو سيطلق التحالف القائم بين كلتا الدولتين الى افاق جديدة.

- تحقيق انجاز له من خلال ابرام صفقة لضمان امن اسرائيل والتطبيع بينها وبين السعودية، مع ضمان المصالح الاميركية في المنطقة. ثمة حديث عن اعداد الارضية لحدث دبلوماسي بين الطرفين مع ابعاد اقتصادية وامنية غير عادية، وعن شيء كبير بين السعودية واميركا واسرائيل.

- تشكيل بديل للشرق الاوسط، او ما يسمى تحالف اقليمي امني اقتصادي اسرائيلي - سعودي - خليجي بمشاركة دول عربية لمواجهة الخطر الايراني باشراف الولايات المتحدة. هذا التحالف سيكون انجازا يسجل لبايدن قبل الانتخابات النصفية للكونغرس التي ستجري في تشرين المقبل وتوازي الانتخابات الرئاسية.

- دفع السعودية الى زيادة انتاج النفط، بعدما اثرت الحرب الاوكرانية - الروسية بشكل كبير على انتاج الغاز والطاقة، وبالتالي تحقيق انجاز اقتصادي له.

- تمويل مشروع منظومة اعتراض القذائف الصاروخية بواسطة الليزر، مما يعطي دفعة قوية لشراكة اسرائيلية - اميركية في شأنه. الرئيس بايدن اهتم كثيرا بالتعرف على منظومة الدفاع الحديثة،

التي تعمل على طريقة القبة الحديدية في تدمير الصواريخ وكذلك الطائرات المسيرة وهي في الجو قبل وصولها الى هدفها، لدرجة تسميتها بـ"قبة الليزر".

زيارة بايدن رسمت تحولا واقعي في استراتيجيا البيت الابيض بتصحيح العلاقة مع السعودية والرضوخ لعوامل اقتصادية وجيوسياسية ادت الى هذا التحول. فمن حرب روسيا في اوكرانيا، الى اسعار النفط، الى توغل الصين في الخليج، وواقع الاقتصاد العالمي بعد وباء كورونا، اضطر البيت الابيض الى الانعطاف ووضع جانبا الشعارات الانتخابية التي رفعها بايدن حول حقوق الانسان ومصالحه الرياض.

التحولات الجيوسياسية الكبرى التي يشهدها العالم، تفرض على جميع دوله، خصوصا تلك التي اندرجت تاريخيا في الاستراتيجية العامة للولايات المتحدة، الشروع في عمليات تكيف وتموضع للحد من مخاطرها، والاستفادة من الفرص التي قد تتيجها. لا يمكن فصل الشراكة الامنية - الاقتصادية المتنامية بين اسرائيل وانظمة خليجية (الامارات والبحرين والسعودية) عن البيئة الاستراتيجية الاجمالية، الدولية والاقليمية، المتغيرة باطراد، بفعل ارتفاع حدة المواجهة بين الولايات المتحدة وكل من روسيا والصين، اضافة الى التعديل التدريجي ولكن المستمر لموازن القوى في المنطقة نتيجة تطور القدرات العسكرية لايران واذرعها في المنطقة.

من الواضح ايضا ان هناك سيقا اقليميا جديدا عنوانه اعادة صياغة العلاقات والسياسات نتيجة متغيرات ابرزها:

- تراجع النفوذ الاميركي في الشرق الاوسط، واحتمال تراجع اكثر خلال السنوات المقبلة، مما سيعني اتساع هامش المناورة لدى دول المعسكر

الاميركي، خارج السياق الضيق الذي كانت ترسمه لها واشنطن.

- مسار المفاوضات النووية الاميركية - الايرانية، ومراحل تطورها، وفرص نجاحها المرجح.

- تغير توازنات القوة في المنطقة، بناء على نتائج الصراع في عدة ساحات اساسية، كاليمن وسوريا.

- الحرب الروسية على اوكرانيا التي عززت دور تركيا الاقليمي والدولي من جهة، ودفعت في اتجاه تكتلات اقليمية ومشاريع الحماية الذاتية من جهة ثانية.

في النتيجة، يجب البحث عن التوازنات الاقليمية بعد حرب اوكرانيا، وبعد الاتفاق النووي، وما يجري في افغانستان وباكستان، وشعور الولايات المتحدة بضرورة تقليص دورها في الشرق الاوسط، والاتجاه شرقا صوب الصين. على هذا الاساس، يصبح من شروط السياسة الجديدة تخفيف العداوة الخليجية مع تركيا، وتحفيزها على سلوك سياسات جديدة.

منذ تسلم الملك سلمان وسطوع نجم ولي العهد محمد بن سلمان حصل تغيير ملموس في السياسة السعودية الاقليمية كنتيجة مباشرة لاستمرار العلاقة الباردة والحذرة بين بن سلمان وادارة بايدن. من الواضح ان ولي العهد السعودي المقتنع باخفاق الولايات المتحدة في مواجهة الهجمات الايرانية المباشرة وغير المباشرة على بلاده وفي احتواء النفوذ الايراني المتعاظم في المنطقة، ينطلق من مبدا معاملة الولايات المتحدة بندية وتحقيق استقلالية القرار وتنويع العلاقات الدولية بحسب المصالح، مما يشمل كل انواع التعامل مع الدول من مبيعات النفط الى مشتريات الاسلحة. بن سلمان الساعي الى التربع ملكا على عرش السعودية وعلى ارض مستقرة امنيا (انهاء حرب اليمن) ومزدهرة اقتصاديا (رؤية 2030) يسعى الى تفاهات مع



وصلت اليه ادارة بايدن، وبحرب اوكرانيا وارتفاع اسعار النفط، لانتزاع اقصى قدر من التنازلات.

دور المملكة رئيسي في حفظ استقرار اسواق الطاقة حول العالم، فعلى الرغم من انها لم تتسبب في حالة الارتباك، والمسؤولة عنها روسيا بسبب غزوها لاوكرانيا، فان الرياض لم تال جهدا في التواصل البناء والخلاق مع اعضاء منظمة اوبك، لضمان اسواق امنة مستقرة، ومراعاة مصالح الدول المنتجة في هذه الاوقات الصعبة. مع استبعاد فكرة حظر النفط الروسي اوروبيا، ومع تصاعد الضغط على الاقتصادات الغربية التي يكاد ارتفاع اسعار النفط ان يخنقها، وارتفاع التضخم الى مستويات تاريخية في اميركا وتأثير ذلك في شعبية الادارة والحزب الحاكم، وتعثر المفاوضات النووية مع ايران، برزت الحاجة الماسة الى اعادة السعودية الى الحظيرة الاميركية بهدف الضغط على طهران، والى التفاهم معها لدعم الموقف الغربي تجاه روسيا والصين، واقتناع منظمة اوبك بزيادة انتاج النفط. يضاف الى ذلك اهمية المملكة كركيزة جغرافية وديموغرافية، وقدرتها على لعب دور محوري في اوقات السيولة الجيوسراتيجية الاممية، كما الحال في الوقت الراهن. فالسعودية مستقبلا امامها، لاسيما في ظل الرؤية التغييرية والاصلاحية الطموحة (رؤية 2030) التي يقودها ولي العهد الامير محمد بن سلمان. لقد اتضح للمؤسسات الاميركية في الدولة العميقة بما لا يقبل الشك، ان السعودية رقم صعب لا يمكن تجاوزه.

زيارة الرئيس بايدن الى المنطقة، ودأما حسب الاوساط عينها، تشكل فرصة لاعادة تعريف المصالح الاستراتيجية التي تربط بين اميركا والشرق الاوسط من بوابة الموقع السعودي القديم والمشروع السعودي الجديد، وعدم الاكتفاء بمراكز نفعية تبادلية لعلاقة محكومة بظرف راهن هو ظرف انعكاسات الحرب في اوكرانيا على اسعار الطاقة. السعودية هي مركز رئيسي من مراكز الاستقرار في المنطقة والعالم، ومهبط اضطراري لاستقرار الاقتصاد العالمي، وسلامة خطوط التجارة الدولية، ومشروع تحديث حضاري على مستوى موقع الاسلام في حوار الحضارات وتفاعلها، والقاطرة السياسية التي في امكانها ان تعطي دفعا استثنائيا لاعادة التشكيل الاستراتيجي في الشرق الاوسط.

التجارية، وبالتالي السياسية، وان من المبكر التعامل وفق شروط المستقبل، حيث يتوقع ان تزيج الطاقة البديلة نظيرتها التقليدية عن العرش. ثم ان الحرب نفسها خلقت مسارا مختلفا عن المرسوم في عالم الطاقة، طرح متطلبات مستجدة ملحة، وعاد باسعاره المرتفعة بالفائدة على خزائن السعودية. هناك اعتقاد بأن الصخب والاستفزاز اللذين يثيرهما بن سلمان، يشيان بترك الباب مواربا، وبوجود رغبة سعودية في استدراج صفقة مناسبة مع الاميركيين، وانه في الامكان اغتنام الفرصة الحالية المتمثلة بالوضع الصعب الذي

ايران ومد يده لملاقاة الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الساعي بدوره الى تقوية وضعه وتجديد رئاسته لتركيا بعد عام.

يرى بن سلمان ان الحرب في اوكرانيا فرصة لتصحيح المسار لا يجوز تفويتها. وبدافع التحوط الاستراتيجي، ينسج منذ مدة انزياحا جديا نحو تنويع الشراكات، مع الصين وروسيا والهند. ويعتبر ان الاصطفاف الدولي المطلوب استحقات كبير يجب تحويله الى فرصة وجعل الثمن كبيرا، ومن غير الجائر التسرع والهرولة المجانية غربا، خصوصا ان النفط لا يزال قيمة اساسية في المعادلات